المدائح النبوية في شعر محمد إقبال

د. سعيد الظفر الندوي،
دوحة – دولة قطر

١– المدح عند العرب

المدح كلمة عربية معناها التنويه بفضائل الممدوح، والتعريف بمحاسن صفاته، وتعداد ما وهب الله سبحانه وتعالى من كمالات خلقية كالشجاعة، والكرم والإيثار والعفة وتحمل المغارم في إصلاح ذات البين وإحلال السلام بين المتحاربين، وخلقية كالجمال وبسطة الجسم، وأن تلك الخلال ليست حديثة بل هي قديمة موروثة عن آبائه وأجداده.

أ– المدائح النبوية في صدر الإسلام

وللمدح في العصر الإسلامي شأن عظيم، وقد شمل مدح الرسول (صلى عليه وسلم) من حيث الاهتداء بهديه ونشر الحق على يديه، نحو قول حسان بن ثابت الأنصاري وغيره في مدح الرسول وأصحابه الأوفياء.

وكان حسان من أبرز الشعراء الذين دافعوا عن الدعوة الإسلامية ورسولها عليه الصلاة والسلام، ووقفوا في مواجهة قريش، وهم ثلاثة من الأنصار: هم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، وكان حسان أشعرهم، ولم يكن شعرهم شعر أناقة وترف على النهج الذي ألفوا أن يقولوه في الجاهلية، وإنما كان شعر منافحة ودفاع عن الإسلام ورسوله والذين اتبعوه بإيمان، كما كان

معايرة لقريش بمخازيها، فقد كان الأولى بها أن تكون أول الواقفين تحت رأية الإسلام وفي صفوف المسلمين.

ولقد كان مما قاله أحد الصحابة محرضاً ومستحثا للأنصار: ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ وكان شعراء الأنصار في أول الأمر يخشون أن يهجوا مشركي مكة من قريش لأنهم أقرباء الرسول عليه الصلاة والسلام، فلما أذن لهم الرسول بأن يهجوهم قال حسان ابن ثابت: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه ويقول: والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء، فقال له الرسول (صلى الله عليه وسلم): كيف تهجوهم وأنا منهم، قال: لإني أسلك كما تسل الشعرة من العجين.. قال الرواة: فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل الوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر، فكان هجاء حسان وكعب لقريش قبل إسلامهم من أشد القول عليهم، وأهونه عليهم هجاء عبد الله بن رواحة، فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم هجاء ابن رواحة. (الأدب العربي/ طاهر عبد اللطيف عوض ص:٢٨٥ كلية الدراسات العربية والإسلامية- جامعة الأزهر بالقاهرة ١٩٩٩م، وانظر: حسان بن ثابت شاعر الرسول/ ص: ١٥٠ سيد حنفي حسنين)

ويبدو أن أبا الوليد حسان بن ثابت الأنصاري قد انفرد من بين شعراءالتاريخ بأنه كان اللسان الشاعر المبين لدعوة دينية شاملة، ندبه رسول الله

صلى الله عليه وسلم للذود عنها ومن أعراض أنصارها، فنافح ما شاء الله أن ينافح، وخلد مواقفها في غرر شعره، وخلع عليه صاحبها من التكريم ما تنقطع دونه أعناق النظراء، حيث نصب له منبرا في مسجد، يلقي من فوقه شعره، ودعا له أن يؤيده روح القدس، ووهب له "سيرين" وأخت مارية القبطية، ووعده الجنة جزاء إجابته عن الرسول عليه الصلاة والسلام.

وقد اعتلى حسان المنبر في يوم انتصاره الأدبي العظيم على شعراء بني تميم في وفودهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين قدموا عليه بعد فتح مكة، وكانوا سبعين أو ثمانين رجلا فيهم وجوه القوم وسادتهم. فنذكر هنا أبياتا من القصيدة التي أنشدها حسان ليفاخر وفد تميم بقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم* قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرته * تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم * أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

سجية تلك فيهم غير محدثة * إن الخلائق (فاعلم) شرها البدع

لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم * عند الدفاع ولا يوهون ما رفعوا

إن كان في الناس سباقون بعدهم * فكل سبق لأدنى سبقهم تبع

(الوسيط في الأدب العربي وتاريخه/ أحمد الإسكندري ومصطفى عناني (ص: ١٦٠، دار المعارف بمصر).

ب- المدائح النبوية في العصر الحديث

تحدث الكثير من الشعراء المسلمين في مدح النبي صلى الله عليه وسلم في القديم والحديث، وأشادوا بشريعته الغراء، منهم كعب بن زهير وحسان بن ثابت وأبو العلاء المعري والبوصيري والبارودي وأحمد شوقي. كما تحدث الكثير من المسلمين من غير العرب أيضا مثل: قآني وخاقاني وعبد الرحمن الجامي وخسرو الدهلوي، ومحمد إقبال وغيرهم من شعراء الفارسية والأوردية، ولكن نحن نذكر هنا نماذج من شعر أحمد شوقي ومحمد إقبال وبعض محتويات قصائدهما في مدح الرسول ورسالته صلى الله عليه وسلم باعتبارهما شاعرين معاصرين.

قد مدح **أحمد شوقي** النبي صلى الله عليه وسلم مدحا كثيراً. وهذا المدح الكثير يدل على حبه الحقيقي لدين الإسلام والاعتزاز به. إذ لو كان مدحه لمحاكاة الأقدمين أو لمجاراة البيئة التي نشأ فيها فكان يكفي مرة أو مرتين، وقصائده التي مدح فيها الرسول لم تكن في فترة واحدة من عمره، بل في فترات متعددة. مما يدل على أن الإسلام عاش له شوقي ومات عليه.

لقد نظم شوقي على نهج (البردة) للبوصيري قصيدته بعنوان: (نهج البردة) سنة ١٣٢٧هـ ١٩١٠م، التي مطلعها:

ريم على القاع بين البان والعلم * أحلّ سفك دمي في الأشهرالحرم

وقد تحدث شوقي في مدح النبي صلى الله عليه وسلم فيما يلي:

١- حاجة البشر إلى رسالة الإسلام.

٢- فرح العالم بمولد النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- أمور غير طبيعية حدثت يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم.

٤- تأمله في غار حراء.

٥- إعلان النبي صلى الله عله وسلم أنه نبي الله ورسوله.

٦- بعض معجزاته الحسية.

٧- أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم.

٨- النبي صلى الله عليه وسلم خير الأنبياء.

٩- بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم.

١٠- عظماء الإسلام.

١١- شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول شوقي في نهج البردة:

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم * إلا على صنم قد هام في صنم

والأرض مملوةٌ جورا مسخرةٌ * لكلّ طاغيةٍ في الخلق محتكم

مسيطر الفرس يبغى في رعيته * وقيصر الروم من كبرٍ أصمُّ عم

{الشوقيات جـ١ ص: ١٩٧}

ويقول في الهمزية:

ولد الهدى فالكائنات ضياء * وفم الزمان تبسم وثناء

الروح والملأ الملائك حوله * للدين والدنيا به بشراء

والعرش يزهو والحظيرة تزدهى * والمنتهى والسدرة العصماء

وحديقة الفرقان ضاحكة الربى* بالترجمان شذية غناء

والوحي يقطو سلسلا من سلسل* واللوح والقلم البديع رواء.

{الشوقيات جـ١ ص: ٣٤}

يقول إن أهل الفرس كانوا يوقدون ناراً عظيمة للعباد، وهذه النار ظلت موقدة مدة طويلة، وقد انطفأت ليلة الميلاد. وكان لكسرى عظيم الفرس أيوان كبير فتصدعت جوانبه. وبين مدينة الرى وهمذان وبحيرة نسمى بحيرة ساوة جف ماؤها ليلة الميلاد أيضا، يقول في الهمزية:

ذعرت عروش الظالمين فزلزلت * وعلت على تيجانهم أصداء

والنار خاوية الجوانب حولهم * خمدت ذوائبها وغاض الماء

والآى تترى والخوارق جَمَه * (جبريل) رَواحٌ بها غداء

(الشوقيات جـ١ ص: ٣٥)

وليس في سيرة ابن هشام – أول كتاب في السيرة النبوية وصل إلينا تنقيحا لسيرة ابن إسحق– خبر عن تصدع أيوان كسرى أو خمود نار المجوس أو جفاف بحيرة ساوة أو ضلالة نهر الفرات طريقه وصبه في بادية السماوة. (الإسلام في شعر شوقي – الدكتور أحمد محمد الحوفي ص: ٩٧)

كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف في غار حراء ليتأمل في خلق الله بعيداً عن الناس. ويقول شوقي في ذلك:

سائل حراء وروح القدس هل علما * مصون سرٍّ عن الإدراك منكتم

كم جيئة وذهاب شرفت بهما * بطحاء مكة في الإصباح والغسم.

(الشوقيات جـ١ ص: ١٩٥)

وينبغي أن نشير إلى أننا لم نذكر هذه النماذج الشعرية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم في القديم والحديث عند العرب على سبيل الحصر، وإنما ذكرناها على أن الشئ بالشئ يذكر، ولأن الشعر بالأردية والفارسية متأثر بالشعر العربي في أعماقه، كما لا ريب فيه أن أهل الهند تلقوا كثيرا من الألفاظ العربية عن العرب بفضل الدين القويم، فاللغة الأردية من لغات الشعوب الإسلامية التي تضمنت جانبا من التراث الإسلامي، وكذلك الفارسية التي هي متأثرة إلى أبعد مدى بالعربية، لها تأثير أعمق وأوسع في الأوردية، وبذلك تكون الأوردية متأثرة بلغة إسلامية تشكل العربية مقوما له أهمية فيها. ومن غير إطالة الكلام في شأن الأوردية نريد أن نقول إن محمد إقبال بكونه شاعر الفارسية والأوردية كان من الطبيعي أن يكون متأثرا بالشعر العربي عامة وفي مدح الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة، فذكرنا بعض النماذج من الشعر العربي في القديم والحديث أولا، ليستمتع بها القارئ، والآن نذكر ترجمة عربية لبعض النماذج الشعرية لمحمد إقبال في مدحه صلى الله عليه وسلم.

٢- المدائح النبوية في شعر محمد إقبال

كان إقبال مسلما حقيقيا، ومن أركان الإسلام الإيمان بالأنبياء والمرسلين، وكل نبي كان إماما في عصره، فقدم تضحيات في سبيل دعوته إلى دين الله الحق وتبليغ رسالته، وأصيب بالمحن والمصائب والآلام بإيمانه الجازم باليقين على صدق الرسالة الإلهية، وقد وقف الأنبياء جميعا ضد الباطل والأوهام الشيطانية والتشكيك في شأن الإيمان بالله كالصخرة المنيعة. وقد أدرك إقبال هذا الرمز بأن اليقين شئ لابد منه للارتقاء الإنساني، كما يجب القضاء على التشكيك والأوهام، ونلاحظ هذه المعركة بين الخير والشر، واليقين والتشكيك في حياة الإنسان منذ أبينا آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء حتى يومنا هذا.

إن حب إقبال للنبي العربي محمدﷺ لم ينفك من حياته أبدا، إلى جانب حبه للأنبياء الآخرين الذين جاء ذكرهم بكثرة كاثرة في شعره مثل أبينا آدم أبي البشر، وأبي الأنبياء إبراهيم خليل الله والنبي موسى كليم الله بصفة خاصة.

كان إقبال يحب النبي ﷺ حبا جما، فإن محمدا النبي العربي في شعره هو الإنسان الكامل العظيم والرجل الأكرم والمثل الأعلى والرائد والقائد، ودواوينه زاخرة بذكر الرسول المصطفى ﷺ، ويعتبر أن نقطة اكتمال الخير هو السراج المصطفوي، وأن الإنسانية لا تستطيع أن تنال الشرف والرفعة إلا بالاقتداء بالسيرة النبوية العطرة، فيعبر عن هذه المعركة بين الخير والشر في منظومته " ارتقاء " حيث يقول: إن الصراع بين الخير والشر أو الحق والباطل قائم منذ الأزل إلى

اليوم، فالخير كله يتمثل في المصطفى، والشر كله يتمثل فى أبي لهب، وكذلك المصطفى يمثل نور الحق، بينما يمثل أبو لهب كل ضلالة .[١]

يعنى المصطفى رمز لكل خير، وأبا لهب رمز لكل شر عنده. ويعبر إقبال عن هذه المعركة في منظومته " ذوق و شوق "[٢] :

"إن ضميرى يشعر من جديد بالمعركة القديمة، وهي المعركة بين العشق والعقل، فالعشق يمثل المصطفى، والعقل يمثل أبا لهب تمثيلا تاما."

إن من العوامل الأساسية البارزة التي يرجع إليها الفضل في تكوين شخصية الشاعر العظيم محمد إقبال وتماسكه أمام المادة ومغرياتها وتيار الحضارة الغربية الجارف، هو الاتصال الروحي بالنبي ﷺ وحبه العميق له.

ولا شك أن الحب هو خير حاجز للقلب، وخير حارس له، إذا احتل قلبا وشغله، منعه من أن يغزوه غيره أو يعبث به العابثون، كما يقول إقبال:

"لم يستطع بريق العلوم الغربية أن يبهر لبي ويغشى بصري، وذلك لأني اكتحلت بأثمد المدينة (هي مدينة الرسول المنورة)."[٣]

وفي ديوانه "أسرار خودي" (أسرار معرفة الذات) ذكر الشاعر مقومات حياة الأمة الإسلامية والدعائم التي تقوم عليها، فذكر منها اتصالها الدائم بنبيها

---

١ ستيزه كار رها هى ازل سى تا امروز چراغ مصطفوى سى شرار بو لهبى

(بانك درا): (جرس القافلة)

٢ تازه مرے ضمير مين معركۂ كهن هوا عشق تمام مصطفى عقل تمام بو لهب

(بال جبريل): (جناح جبريل)

٣ خيره نه كر سكا مجهى جلوۂ دانش فرنگ سرمه هى ميرى آنكهه كا خاك مدينه و نجف

(بال جبريل): (جناح جبريل)

ﷺ والتشبع بتعاليمه، والتفاني في حبه، وكلما جاء ذكر النبي ﷺ اندفع مادحا إياه، وأرسل النفس على سجيتها، فقال أبياتا لاتزال تعد من غرر المدائح النبوية والشعر الوجداني، يقول:

"إن قلب المسلم عامر بحب المصطفى ﷺ وهو أصل شرفنا، ومصدر فخرنا في هذا العالم، إن هذا السيد الذي داست أمته تاج كسرى، كان يرقد على الحصير."[٤]

لقد عاش محمد إقبال شاعر الإسلام وفيلسوف عصره طول مدة حياته في حب النبي ﷺ، وفي الشوق إلى المدينة، وتغنى بها في شعره الخالد، وقد طفح الكأس في آخر حياته، فكان كلما ذكرت مدينة الرسول فاضت عيناه وانهمرت الدموع، ولم يقدر له أداء فريضة الحج وزيارة الرسول ﷺ بجسمه الضعيف الذي كان يعانى من الأمراض والأسقام منذ فترة، ولكنه رحل إلى الحجاز بخياله القوي، وشعره الخصب العذب وقلبه الولوع الحنون، وحلق في أجواء الحجاز وتحدث إلى الرسول الأعظم ﷺ بما شاء قلبه وحبه وإخلاصه ووفاؤه، وتحدث إليه عن نفسه وعن عصره وعن أمته وعن مجتمعه.[٥]

---

[٤] در دل مسلم مقام مصطفى است آبروى ما زنام مصطفى است
بوريا ممنون خواب راحتش تاج كسرى زير پائى امتش (اسرار خودي): (أسرار الذات)

[٥] الطريق الى المدينة / سيد أبوالحسن علي الحسني الندوي

وقد سئل إقبال مرة هل تجد دليلا عقليا على وجود الله تعالى؟ فأجاب قائلا: نعم لوجوده تعالى براهين عقلية كثيرة كما أن هناك دلائل واهية على عدمه، فقيل لماذا أنت تؤمن بوجود الله؟ فكان جوابه: لأن النبي ﷺ أخبرنا أن الله موجود، وكل ما هو واجب الوجود عند النبي محمد ﷺ، فهو موجود عندنا، وكذلك كل ما هو معدوم عنده، فهو معدوم عندنا بلا ريب.

إن الجواب يدل على مدى إيمان إقبال القوي بصدق ما قاله رسول الله ﷺ، وكان من أدبه لرسول الله أنه تمنى أن لا يسوء رسول الله ﷺ النظر إلى صحيفة أعماله المشحونة بالذنوب والآثام يوم يقوم الحساب، فقال:

"اللهم أنت الغني عن العالمين، وأنا فقير إليك، أرجو من عفوك أن تقبل معاذيري يوم القيامة، و إن كان لابد من محاسبتي، فأخفها عن نظر النبي محمد المصطفى ﷺ."[٦]

وقد ألهمه هذا الحب العميق معنى شعريا عجيبا، حيث قال وهو يناجى الله عز وجل:

" اللهم لا تخزنا يوم القيامة أمام مولانا محمد ﷺ و حاسبنا بعيدا عن نظره".[٧]

---

[٦] تو غنى ازهر دو عالم من فقير روز محشر عذرهائے من پذير
يا اگر بينى حسابم ناگزير از نگاه مصطفى پنهان بگير
(جاويد نامه): (رسالة الخلود لمحمد إقبال)

[٧] مكن رسوا حضور خواجه مارا حساب ما زچشم او نهان گير
(ارمغان حجاز): (هدية الحجاز) – الجزء الفارسي–

ويذكر عبد المجيد سالك عن حب إقبال للرسول ﷺ قائلا: "هذه هي نهاية حبه للنبي ﷺ بأنه كلما ذكر الرسول ﷺ أمامه فاضت عيونه بالدموع، وخاصة في أواخر أيام عمره.[٨]

كان حب الرسول قد سرى في قلبه وجسده، وغلب على عقله وفكره رغم أنه كان فيلسوفا عظيما، ومعلوم أن الفلسفة تستمد مادته من العقل، والعقل لا يخرج من دنيا المعقولات، من العالم المرئي المحسوس، ولكنه لم يجسُر أبدا أن يحكم عقله عند التفكير في ما جاء به رسول الله، بل إنه كان يحسبه نوعا من الذنب، وكان مصداقا لقوله تعالى: "سمعنا وأطعنا" وإن الطاعة هي أساس الإيمان[٩].

فلنلاحظ مكانة مرموقة لحب رسول الله ﷺ في شعره، يقول:

ومن كان زاده حب المصطفى ﷺ، وجد البحر والبر في زاوية من ذيله.[١٠]

ولم يزل حب النبي ﷺ يزيد ويقوى مع مرور السن، ويبدي عن افتقاره إلى الرسول واستغنائه عن الآخرين، فيقول: "رفقا يا رسول الله ﷺ بفقير غيور، أبي النفس، رفض أن يملأ كوبه من نهر الأجانب".[١١]

---

٨ ذكر اقبال / عبد المجيد سالك

٩ ايام الفقير (روزگار اين فقير) / سيد فقير وحيد الدين

١٠ هركه عشق مصطفى سامان اوست بحر و بر درگوشه دامان اوست

(بيام مشرق (رسالة المشرق)

١١ خواجهٔ ما نگاه دار آبروئ گدائ خويش آنكه زجوى ديگران بر نكند پياله را

(زبور العجم)

وجاشت نفسه الجياشة الدافقة بالحنان والإيمان في الثالث من أبريل سنة ١٩٣٦م، وهو عليل رهين الفراش في مدينة بهوبال (وسط الهند) وقد آلمه ما كان يراه من وضع العالم الإسلامي المخزي والفراغ الفكري والروحي الهائل الواقع فيه وضعف الشخصية الإسلامية الشائن واندفاع الجيل الجديد المشهور إلى غربية الغرب ومثلها وقيمها المادية، وتخليه عن رسالته، ومكانته المرموقة، ففاضت قريحته بشعر من أبلغ الشعر الوجداني، تحدث فيه إلى النبي ﷺ، واشتكى إليه في عالم الخيال ضعفَ العالم الإسلامي وفقره الروحي وانحرافه عن جادة الصواب، وما كان يجده في نفسه من فتور بعد النشاط، ومن ضعف في العمل بعد القوة، يقول:

أشكو إليك يا رسول الله ﷺ من هذه الأمة التي تسلط عليها خوف الموت، إنك حطمت الأصنام القديمة: اللات والعزى ومنات، وجددت العالم القديم الذي سرى فيه الهرم، ودب فيه الموت، فأصبح العالم يستقبل اليوم الجديد بالإيمان والحنان، والتسبيح والأذان، ويستمد من كلمة (لا إله إلا الله) التي لقنته إياها حرارة العمل والسرور، وكذلك النور والانتباه في ظلام الليل.

إننا وإن ولدنا في بلاد غارقة في الوثنية منذ القدم، رفضنا أن نعبد الثور والبقر، وأبينا أن تركع رؤوسنا أمام الكهنة والسدنة، فلم نخر بين يدي الآلهة القديمة ولم نطف حول بلاط الملوك وقصور الأمراء، والفضل في ذلك كله يرجع

إلى دينك الذي جئت به، والذي أحسنت به إلى كل من له فكر سليم من البشرية جمعاء.[١٢]

ويقول:

لقد تجولت في ربوع العالم الإسلامي، وزرت بلاد العرب وديار العجم، فرأيت فيها المصطفى (الحق) مفقودا، ولكنني رأيت عددا لا يحصى لمن يمثل أبا لهب (الباطل) ويحاكيه، يعني الحق معدوم، والباطل يتواجد في كل ناحية.

إن الشباب الإسلامي قد استنارت عقولهم وأظلمت قلوبهم و ضمائرهم، إنهم في شبابهم نائمون، رقاق كالحرير، لا يحتملون الأمل الجديد والنظر البعيد، إنهم نشأوا على العبودية، ودرج على ذلك جيل بعد جيل، حتى حرموا التفكير في الحرية.[١٣]

---

[١٢] ای تو ما بیچارگان را سازوبرگ *** وارها اي قوم را از ترس مرگ
سوختی لات و منات کهنه را *** تازه کردی کائنات کهنه را
در جهان ذکر وفکر و انس وجان *** تو صلوة صبح تو بانگ آذان
لذت سوز و سرور از لا إله *** در شب اندیشه نور از لا إله
بی خدا یا ساختیم از گا و خر *** بی حضور کاهنان افگنده سر
بی سجود پیش معبودان پیر *** بی طواف کوشك سلطان و میر
این همه از لطف بی بایان تست *** فکر ما پروردهٔ احسان تست
(پس چه باید کرد ای اقوام مشرق): (ماذا ينبغي أن نعمله يا أمم شرق؟)

[١٣] درعجم گردیدم وهم درعرب مصطفی نایاب وارزان بولهب.
این مسلمان زادهٔ روشن دماغ ظلمت آباد ضمیرش بی چراغ
این غلام ابن غلام ابن غلام حریت اندیشهٔ اورا حرام
(پس چه باید کرد ای اقوام مشرق): (ماذا ينبغي أن نعمله يا أمم الشرق؟)

إن محور شعر محمد إقبال هو المجتمع الإسلامي المثالي الذي روحه هو الحب لنبينا محمد ﷺ، فإذا خلا المجتمع من الحب النبوي بقي كجسم بلا روح ، فقد ذكر إقبال حبيبنا وأسوتنا وقدوتنا محمد المصطفى بكلمات عديدة في أسلوبه الشعري الرائع، فنراه يذكره ﷺ بكلمة "أحمد المرسل"، و"الرسول العربي" وبكلمات أخرى مثلها في منظومته المعروفة "الشكوى"، فيقول :

إن قلب العشق هو هو، الذي هو محل للعشق، وحسن الجمال الساحر أيضا هو هو، الذى لم يفقد تأثيره السحرى، وكذلك أمة أحمد خير الأنبياء والمرسلين ﷺهي هي، التي هي خير أمة أخرجت للناس للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يحدث أى تعديل في رسالتها هذه حتى الآن، وكذلك أنت أيضا أيها المسلم لم تتغير، يعني إنك لاتزال مسلما، ولكنك تركت رسالة الإسلام وتركت دين الرسول العربي المصطفى ﷺ، واخترت نحت الأصنام والأوثان بدلا من أن تكسرها .[١٤]

ويذكر النبي العربي بـ "دانائ سبل" (عارف الطرق) و"ختم الرسل" و"مولائ كل" و"يسين" و"طه"، حيث يقول :

إن الذي منح تراب الطريق الحقير شأنا كشأن طور سيناء في الرفعة، هو خاتم الأنبياء وعارف السبل، وسيد الكون كله، وحين نراه بنظرية العشق والسرور

---

[١٤] عشق كا دل بهى وهى حسن كا جادو بهى وهى امت احمد مرسل بهى وهى ، تو بهى وهي
تجھ كو چھوڑا كه رسول عربي كو چھوڑا بت گرى پيشه كيا، بت شكنى كو چھوڑا
(بانك درا): (جرس القافلة)

(الحقيقة المحمدية عند الصوفية) نجد أنه صلى الله عليه وسلم هو الأول، وهو الآخر (أي أنه بغية العالم) كما أنه هو القرآن، وهو الفرقان، وهو يسين، وهو طه .[١٥] بل يخاطبه، ويقول:

"أنت اللوح (المحفوظ)، وأنت القلم، ووجودك الكتاب" يعني هذه العوالم العلمية لله سبحانه وتعالى قد عرفت بوجودك يا رسول الله."

ويذكر النبيَ ﷺ بـ "آئين رسول مختار" أي بالدستور الذي جاء به النبيﷺ للإنسانية جمعاء، وذلك ضمن منظومته المعروفة "جواب الشكوى" حيث يقول:

من الذى يترك الشرع الذي جاء به الرسول المصطفىﷺ؟ ومن الذي يعتبر المصلحة معيارا لأعماله، يعني من الذي يفكر فى أن مصالح الظروف الطارئة هي التي تحكم دائما ؟[١٦]

ويذكر النبي ﷺ بكلمة "كملى والے" (المزمل)، فيقول:

يا نسيم الصبا ! بلغ المزمل رسالتي هذه بأن أمته المسكينة قد ضاع منها الدين، كما ضاعت منها الدنيا، فلا حول لها ولا قوة.[١٧]

---

[١٥] وه دانائ سبل ختم الرسل مولائے كل جس ني غبارِ راه كو بخشا فروغ وادى سينا
نگاه عشق و مستى مين وهى اول وهى آخر وهى قرآن وهى فرقان وهى يسين وهى طه
(بال جبريل): (جناح جبريل)

[١٦] كون هى تارك آئين رسول مختار مصلحت وقت كى هى كس كى عمل كا معيار
(بانك درا): (جرس القافلة)

[١٧] اى باد صبا كملى والي سي جا كهيو پيغام ميرا
قبضي سي امت بيچارى كي دنيا بهى گئى دين بهى گيا
بانك درا (جرس القافلة)

ويذكر النبي ﷺ باسم "مولائ يثرب" (سيد المدينة المنورة)، إذ يقول:

يا سيد يثرب! أرجو منكم التكرم بمعالجة نفسي علاجا روحيا مباشرا، لأن علمي أفرنجي، والعلم الأفرنجي لا يؤمن إلا بالمادة، وكذلك إيماني كإيمان الهندوس الذين لا يعبدون إلا المعبودات المرئية المحسوسة.[١٨]

وكذلك يذكر محمد إقبال النبي العربي ﷺ بـ "مير حجاز" (سيد الحجاز) ضمن منظومته "ترانۂ ملی" (الأنشودة الوطنية)، حيث يقول:

إن أمير قافلتنا هو سيد الحجاز، وإن بقاء راحتنا الروحية متوقف على بقاء هذا الاسم المبارك.[١٩]

ويذكر نبينا ﷺ باسمه في أبيات عديدة وبأساليب ومعان متنوعة وبرسالة محددة، فيقول في منظومته "جواب الشكوى" مسندا الحديث إلى الله سبحانه وتعالى:

أيها المسلم! أن قلبك خال من الاحتراق، كما أن روحك أيضا خالية من الإحساس، (يعني أنك قد فقدت الإحساس بحرارة العاطفة الدينية الصادقة) حيث أنك لا تبالي برسالة محمد ﷺ على وجه الإطلاق. أيها المسلم! إرفع شأن

---

[١٨] تو ای مولائ یثرب آپ میری چاره سازی کر
میری دانش هی افرنگی مرا ایمان هی زناری
بال جبریل (جناح جبريل)

[١٩] سالار کاروان هی میر حجاز اپنا اس نام سی هی باقی آرام جان همارا
بانك درا (جرس القافلة)

كل ما هو أدنى وأحقر في الدنيا بقوة عشقك (لمحمد ﷺ ورسالته) ونور العالم باسمه (أي بنور رسالته). فإذا أوجدت في نفسك الحب والوفاء لمحمدﷺ نحن معك، إذن فليست هذه الدنيا الدنيئة فحسب، وإنما اللوح (المحفوظ) والقلم أيضا يخضعان لإرادتك أنت .[٢٠]

وهنا يؤكد على حتمية معرفة منزلة النبي العربيﷺ ورسالته في مقطوعة شعرية بعنوان "حسين أحمد" فيقول:

إن حسين أحمد (عالم هندي كبير) يلقن أتباعه من على المنبر أن الأمة تتكون من الوطن، فيا للعجب! كيف يمكن أن يتجاهل (عالم من علماء الدين مثله) المنزلة الرفيعة لمحمد العربي المصطفى وعالمية رسالته، ثم يخاطبه والمسلمين عامة، ويقول: عليك أن توصل نفسك إلى مقام المصطفى الرفيع، باعتبار أنه هو الدين الكامل، وإذا لم تستطع أن تدرك مقامه العالي لم تتمكن من الوصول إلى

---

٢٠ قلب مين سوز نهين روح مين احساس نهين
كچھ بهى پيغام محمد كا تمهين پاس نهين
قوت عشق سى هر پست كو بالا كر دے
دهر مين اسم محمد سى اجالا كر دے
كى محمد سي وفا تو نى تو هم تيرے هين
يه جهان چيز هي كيا لوح و قلم تيرے هين
(بانك درا): (جرس القافلة)

كنه معرفة الدين، فكأن حياتك كلها قد ضاعت في الضلال كحياة أبي لهب.[٢١]

حقا إن أبا لهب وغيره من سادة قريش كانوا ينظرون – بضيق أفقهم – إلى أن عربية العرب القومية ووحدتهم الوثنية هي رمز بقاء سيادتهم فى شبه الجزيرة العربية، ولا يمكن تصور بقاء الوحدة بين القبائل العربية من غير هذه الديانة الوثنية، فلم يدركوا مفهوم عالمية الرسالة المحمدية وأبعاد أفقيتها الواسعة، فعاشوا في ضلال.

فلم يتم تكوين أمة الإسلام على فكرة الجنس والوحدة الوطنية، وإنما تكونت على أساس المساواة الصادقة والعدالة الاجتماعية والأخوة الروحية المستمدة من التنزيل الإلهي والمتمثلة في "إنما المؤمنون إخوة" وفي قول النبيﷺ " لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود." كلكم من آدم وآدم من تراب." و"إن أكرمكم عند الله أتقاكم." ففكرة توحيد الناس على أساس الجنس والوطن واللون واللسان وغيرها من عناصر التفرقة العنصرية لا صلة لها بالإسلام على وجه الإطلاق.

---

[٢١] سرود برسرمنبركه ملت از وطن است

چه **بى** خبر زمقام محمد عربي ست

بمصطفى برسان خويش را كه دين همه اوست

اگر باو نه رسيدى تمام بولهبي ست

(ارمغان حجاز): (هدية الحجاز– القسم الأردي)

وكذلك يذكر شاعرنا محمد إقبال نبيناﷺ ضمن منظومته "خضر راه" (أي خضر الطريق) فيقول:

إن الهاشمي الذي يدعي بانتسابه إلى سلالة بني هاشم التي ينتمي اليها رسول الله ﷺ لا يتردد في أن يبيع قدسية دين المصطفى، في حين يواجه الأتراك الأقوياء الشجعان الحديد والنار على جبهات القتال من أجل دينه.٢٢

وفي **ختام** حديثنا نقول إن شاعرنا العظيم محمد إقبال كان يحب العالم العربي بمحمد العربي، فكان يتغنى دائماً بالجزيرة العربية، حيث لا يخلوا ديوان من دوانه إلا قد أشار إليها مباشرة أو غير مباشرة، إلا أنه لم يتمكن من زيارتها في عالم الواقع، فقد زارها في عالم خياله، وتحدث عن كل خطواتها فتغنى بجمال الصحراء ووصف القوافل والنوق ويتضح ذلك جليا من حديثه إلى أهل الجزيرة العربية تحت عنوان "يا ابن صحراء" في ديوانه "أرمغان حجاز" أي هدية الحجاز، فقال:

أقلع خيمتك وأرحل يا ابن الصحراء، فلا حياة دون تذوق الرحيل، فجعل الله العرب أدلاء للقوافل وامتحنهم بفقرهم، لو أن فقر الفقراء ذو حمية، فمن الممكن أن يقلب الدنيا رأسا على عقب. (سمر عبد الحميد: إقبال وأرمغان حجاز، ص: ١٢٨- ١٢٩،المكتبة العلمية، لاهور، باكستان.)

---

٢٢ بيچتا هى هاشمى ناموس دين مصطفى

خاك و خون مين مل رها هى تركمان سخت كوش (بانك درا): (جرس القافلة)

ثم يقول:

اكتست صحراء العرب بفضل هذا النبي الأمي حلة أنيقة، وأنبتت زهرة يانعة، أن عاطفة الحرية نشأت في ظل هذا النبي، وترعت ونمت في حجره، وهكذا كان يوم هذا العالم المعاصر مدينا لأمسه. (أبو الحسن الندوي: روائع إقبال، ط. ندوة العلماء الخامسة، لكناو، الهند ١٩٩١م.)

كتب المراجع و المصادر

- جرس القافلة / الدكتور محمد إقبال
- جناح جبريل / محمد إقبال
- أسرار معرفة الذات / محمد إقبال
- رسالة الخلود / محمد إقبال
- هدية الحجاز – الجزء الفارسي والأردي/ محمد إقبال
- رسالة المشرق / محمد إقبال
- زبور العجم / محمد إقبال
- ماذا ينبغي أن نعمله يا أمم الشرق ؟ / محمد إقبال
- الطريق إلى المدينة / أبوالحسن على الحسني الندوي
- أيام الفقير / السيد فقير وحيد الدين
- ذكر إقبال / عبد المجيد سالك